تفسير

سورة الملائكة (فاطر)

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل وغيرهما : «خالق السماوات والأرض»(١) . [قال المُبرِّد : فاطر](٢) خالق مبتدٍ ، يقول : «فطر الله الخلق ؛ أي ابتدأهم ، [وأنا فاطر هذه البئر](٣) ؛ أي ابتدأت حفرها»(٤) ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج(٥) ، وهذا مما سبق فيه الكلام .

قوله : ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ . قال مقاتل : «منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والكرام الكاتبين»(٦) .

---

(١) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٧٩ ، وتفسير مقاتل ١٠١ ب .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٦١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ ب .

وقوله : ﴿ أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾ يقول : «من الملائكة مَن له جناحان ، ومنهم مَن له ثلاثة أجنحة ، ومنهم مَن له أربعة أجنحة» . وذكرنا الكلام في مثنى وثلاث ورباع في أول سورة النساء[١] .

وقوله : ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾ قال مقاتل : «يزيد في خلق الأجنحة على أربعة أجنحة»[٢] . ورأى رسول الله ﷺ جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح ، وقال له جبريل : إن لإسرافيل اثني عشر [جناحاً][٣] ، جناح منها بالمشرق ، وجناح منها بالمغرب[٤] . وهذا الذي ذكرنا في زيادة الخلق هو قول الفرَّاء والزَّجَّاج[٥] . وروى قتادة في قوله : ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ ﴾ قال : «الملاحة في العينين»[٦] .

وروي عن الزهري قال : «حسن الصوت»[٧] ، وعن أبي هريرة مرفوعاً : «الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن»[٨] . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ مما يريد أن يخلق ﴿ قَدِيرٞ ﴾ قاله ابن عباس[٩] .

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ [النساء :٣] . قال في هذا الموضع : «بدل مما طاب ، ومعناه : اثنتان وثلاث وأربع ، والواو دالة على تفرق الأنواع وتجنيس المباح من الزوجات ، فمَن تزوَّج مثنى لم يضم إليها ثلاثاً ، وكذلك مَن تزوَّج ثلاثاً لم يضم إليهن أربعاً» .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣ ب ، وبحر العلوم ٣/ ٧٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦١ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣ ب ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٣ .

(٧) انظر : المراجع السابقة ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٧٠ .

(٨) لم أقف عليه مرفوعاً للنبي ﷺ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٣ ب ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٣ .

(٩) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٢٦ .

٢. قوله تعالى : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ما يأتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أن يمسكه ، وما يمسك من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله»[١] ، وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين في هذه الآية[٢] .

٣. وقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أهل مكة»[٣] . ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ . قال : «يريد حيث أسكنكم الحرم ، ومنعكم من جميع الغارات»[٤] . وقد ذكرنا معنى النعمة في ما تقدَّم .

وقال الفرَّاء : «وما كان من هذا في القرآن فمعناه : احفظوا ، كما تقول : اذكر أيادي عندك ؛ أي احفظها»[٥] .

وقوله : ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا ذكر بعد قوله : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ ، فأكَّد ذلك بأن جعل السؤال لهم : ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال : ورفع غير على معنى هل من خالق غير الله ؛ لأن من مؤكدة»[٦] .

وقال أبو علي : «مَن جر ﴿غَيْرُ﴾ جعله صفة على اللفظ ؛ وذلك حسن لاتباعه الجر الجر . وقوله : ﴿مِنْ خَٰلِقٍ﴾ في موضع رفع بالابتداء ، وخبره قوله :

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ١١٥ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٦٢ ، وبحر العلوم ٣/ ٨٠ .

(٣) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤ ، وذكره الطبري في تفسيره ٢٢/ ١١٥ من دون نسبة ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٧٤ ، ونسبه إلى المفسرين .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٢ .

﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وزيادة من في غير الإيجاب كثير ، نحو : هل من رجل ، و﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٦٢] . ومَن رفع احتمل غير وجه ، يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ ، ويجوز أن يكون صفة على الموضع بتقدير : هل خالق غير الله يرزقكم ، ويجوز أن يكون غير استثناء ، تقديره : هل من خالق إلَّا الله»[١] . فلمَّا كانت ترتفع ما بعد إلَّا حملت رفع ما بعد إلَّا في غير ، كما تقول : ما قام من أحد غير أبيك ، ويدل على جواز هذا الوجه قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٦٢] ، وذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ في سورة الأعراف [٥٩] .

قال المفسرون وابن عباس : «﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ، المطر ومن ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ النبات»[٢] .

ثم وحَّد نفسه ، فقال : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ . قال مقاتل : «من أين تكذبون بأن الله لا شريك له ، وأنتم مقرون بأن الله خلقكم ورزقكم»[٣] .

قال أبو إسحاق : «من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث ؟»[٤] .

٤. ثم عزَّى نبيَّه ﷺ بقوله : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ؛ أي الأمر راجع إلى الله في مجازاة مَن كذب ، ونصرة مَن كذب من رسله .

---

(١) الحجة ٦/ ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٨٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٤ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٥ .

(٣) لم أقف على قول مقاتل .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٣ .

٥. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ : يعني كفار مكة . ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بالثواب والعقاب»[١] ، وقال مقاتل : «في البعث»[٢] ،

وباقي الآية مُفسَّر في سورة لقمان : ٣٣ .

٦. وقوله : ﴿ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ . قال مقاتل : «فعادوه بطاعة الله ، ثم بيَّن عداوته ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ ﴾ ؛ أي يدعو شيعته إلى الكفر»[٣] . ﴿ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

٨. وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «نزلت في أبي جهل ومشركي مكة»[٤] .

وقال سعيد بن جبير : «يحسب الناس أن هذا في تزيين الخطايا لمَن ركب منها شيئاً وليس كذلك ، ولكنها الزينة في الملل والأهواء التي خالفت الهدى ، فإن أهلها يحسبون أنهم يحسنون[٥] . ألا ترى النصارى يدَّعون لله ولداً ويحسبون أنهم يحسنون ، وتتقرب بذلك إلى الله ولا يحب أن يزني ويسرق ، وله الدنيا وما فيها ، واحتج على هذا بقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : ألا ترى ذلك صار في الضلالة والهدى وليس في ما يذهب الناس إليه من العمل» .

وأمَّا نظم الآية وجواب قوله : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ ﴾ فقال أبو إسحاق : «هو على ضربين ؛ أحدهما : أن يكون المعنى : أفمَن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة ، ودلَّ على هذا الجواب قوله : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

(١) لم أقف عليه .
(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ .
(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٥ .
(٥) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٥ .

حَسَرَٰتٍ ﴾» ، وهذا قول الفرَّاء والكسائي[١] ، قال : «ويجوز أن يكون محذوفاً . والمعنى : أفمَن زين له سوء عمله كمَن هداه الله ، ويكون دليله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾»[٢] ، وهذا قول أبي عبيدة ؛ لأنه قال في هذه الآية : «هو مختصر مكفوف عن خبره لتمامه عند المستمع»[٣] .

ثم استأنف فقال : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾ . قال ابن عباس : «يقول لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرات على تركهم الإسلام[٤] ، كقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾ [الكهف :٦]» الآية . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ : يعني عالم بصنيعهم فيجازيهم على ذلك ، ثم أخبر عن صنعه جل وعز ليعتبروا .

٩. قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ . قال الكلبي : «فتنشئ سحاباً»[٥] . والمعنى : فنزعجه من حيث هو . ﴿ فَسُقۡنَٰهُ ﴾ . قال أبو عبيد : «فنسوقه» ، وأنشد قول قعنب :

إنْ يسمعوا زينةً[٦] طاروا بها فرحاً[٧]

---

(١) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٥٩ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٠ ، وانظر قول الكسائي في : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٦٨٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٤ .

(٣) لم أقف عليه عن أبي عبيدة .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠١ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٦ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (ريبة) .

(٧) هذا صدر بيت ، وعجزه :

مني وما سمعوا منْ صالح دفنوا

وهو من البسيط لقعنب بن أم صاحب في الحماسة ٢/ ١٧٠ ، ومجاز القرآن ١/ ١٧٧ ، ٢/ ١٥٢ ، وسمط اللآلئ ٣٦٢ ، وعيون الأخبار ٣/ ٨٤ .

أي إن سمعوا يطيروا[١] .

وقوله : ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ . قال ابـــن عباس : «يريد الأرض الجرز»[٢] ، وقال الكلبي : «إلى مكان ليـــس عليه نبات»[٣] . وقوله : ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ . قال ابن عباس : «أنبتنا فيها الزرع والأشجار بعد ما لم يكن»[٤] .

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ ؛ أي البعث والإحياء .

١٠ . وقولـــه : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ . قال الفرَّاء : «معناه : مَن كان يريد علم العزة لـــمَن هي ، فإنها لله جميعاً ؛ أي كل وجه من العزة لله»[٥] .

والآية عـــلى ما ذكرنا من باب حذف المضاف . وقـــال قتادة : «مَن كان يريد العزة فليعتزز بطاعـــة الله[٦] ، يعني أن قولـــه : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ معناه : الدعاء إلى طاعـــة مَن له العزة ليعتز بطاعته ، كما يقال : مَـــن أراد المال فالمال لفلان ؛ أي فليطلب مَن عنده مـــن حيث يجب أن يطلب» ، وهذا قـــول ابن عباس في رواية عطاء ؛ لأنه قال : «يؤمن بالله فيعتز بعزه»[٧] .

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٥٢ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكره هود بن محكم في تفسيره ٣/ ٤١١ من دون نسبة .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٧ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٧ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفســير الطبري ٢٢/ ١٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٨ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٧ .

وقال مجاهد ومقاتل : «مَن كان يريد العزة بعبادته غير الله فليعتزز بطاعة الله ، فإن العزة لله جميعاً»[١] ، وعلى هذا في الآية محذوف دلَّ عليه الكلام . والمعنى : أن عبدة الأصنام طلبوا التعزز بها ، يدل على هذا قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء :١٣٩] ، وقوله : ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم :٨١] . فأخبر الله تعالى أن العزة لله جميعاً لا غيره ، فلا يعتز أحد بعبادة غيره ، وإنما التعزز بطاعة الله ، ثم بيَّن كيف يتعزز بطاعته ، فقال : قوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ . قال مقاتل والمفسرون : «إلى الله يصعد كلمة التوحيد ، وهو : قول لا إله إلَّا الله»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «أي إليه يصل الكلام الذي هو توحيده ، والله تعالى يرتفع إليه كل شيء»[٣] . وعلى ما ذكر ، معنى الصعود إليه : الارتفاع ، وهو بمعنى العلم كما يقال : ارتفع هذا الأمر إلى القاضي وإلى السلطان ؛ أي علمه . وفي تخصيص الكلم الطيب بعلمه إثبات للثواب عليه[٤] . ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام :٣٣] فنثيبك[٥] عليه .

وقال بعض أهل المعاني : «يعني إليه يصعد إلى سمائه ، والمحل الذي لا يجري لأحد سواه فيه ملك ولا حكم»[٦] . ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ . قال ابن عباس : «يريد العمل بما افترضه الله عز وجل ، يقول الله تعالى : «إذا قال العبد : لا إله إلَّا

---

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٣١ ، وتفسير مقاتل ١٠٢ ب ، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٢٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٧ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ ، وانظر أيضاً : تفسير البغوي ٣/ ٥٦٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٥ .

(٤) الظاهر أنه يوجد سقط في الكلام يمكن تقديره بنحو : «يدل عليه قوله تعالى» .

(٥) في (ب) : (فشبك) .

(٦) كلام المؤلِّف ـ رحمه الله ـ في هذا الموضع فيه تأويل لصفة العلو والفوقية ، وهذا خلاف ما عليه أهل السُّنة والجماعة ؛ فإنهم يثبتون لله ـ جل وعلا ـ ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٣٨١ .

الله بنيَّة صادقة ، نظرت الملائكة إلى عمله ، فإن كان عمله موافقاً لقوله صعدا جميعاً ، وإن كان عمله مخالفاً وقف قوله حتى يتوب من عمله»[١] .

وقال الحسن : «العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله ، يعرض القول على الفعل ؛ فإن وافق القول الفعل قُبل ، وإن خالفه رُدَّ» ، ونحو هذا[٢] قال سعيد بن جبير[٣] ، وعلى هذا الكناية في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ تعود إلى الكلم الطيب .

وقال قتادة : «يرفع الله العمل الصالح لصاحبه»[٤] ، وعلى هذا تم الكلام عند قوله : ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ ، ثم قال : «﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ الله إليه ؛ أي يقبله ، والكناية للعمل الصالح» ، وقال مقاتل : «التوحيد يرفع العمل الصالح إلى السماء»[٥] . والمعنى على هذا : لا يقبل الله عملاً صالحاً[٦] إلَّا من مُوحِّد ، والرافع على هذا القول الكلم الطيب ، وعلى القول الثاني الرافع هو الله تعالى ، وعلى القول الأول الرافع العمل الصالح ، وهذا الأوجه ، وقد ذكره الفرَّاء والزَّجَّاج والمُبرِّد[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٢١ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

(٢) (هذا) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٠ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٦٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٨ .

(٤) انظر : المراجع السابقة .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (عملاً صالحاً) .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٦٧ ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٥ . ولم أقف على قول المُبرِّد ، ويرجِّح المؤلِّف ـ رحمه الله ـ القول الأول القائل بأن الرافع هو العمل الصالح ؛ لأنه قول صحيح ثابت عن حبر الأمة وترجمان القرآن ـ رضي الله عنه ـ .

قال مقاتل : «ثم ذكر مَن لا يوحِّد الله ، فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ؛ أي والذين يقولون الشرك»[١] ، وهذا معنى قول ابن عباس : «والذين يشركون بالله لهم عذاب شديد»[٢] .

وقال الكلبي : «يعني يعملون السيئات»[٣] .

وقال سعيد بن جبير : «والذين يعملون بالرياء» ، وهو قول مجاهد وشهر بن حوشب[٤] .

وقال أبو العالية : «يعني الذين مكروا برسول الله في دار الندوة»[٥] ، وهو اختيار أبي إسحاق[٦] . ثم أخبر أن مكرهم يبطل ، فقال : ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ . قال قتادة : «يفسد»[٧] ، وقال مقاتل : «يهلك ولا يكون شيئاً»[٨] ، وقال السُّدِّي : «يهلك وليس له ثواب في الآخرة»[٩] .

ثم دلَّ على نفسه بصفة ليوحد ، فقال :

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .

(٢) أورده الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٧ ، ونسبه إلى قتادة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٧٩ ، ونسبه إلى مقاتل ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

(٣) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٢٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٧ .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٧١ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٥٦٧ ، وصاحب الدر المنثور ٧/ ١٠ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن مجاهد ، وإلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن شهر بن حوشب .

(٥) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٢٩ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٥ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٧١ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٦٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٣ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .

(٩) أورده السيوطي في الدر ٧/ ١٠ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السُّدِّي ، وانظر : تفسير السُّدِّي الكبير ٣٩٣ .

١١. قوله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني آدم»[١] . ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ : يعني نسله . ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ . قال السُّدِّي ومقاتل : «ذكراناً وإناثاً»[٢] . ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ . قال مقاتل : يقول : «مَن قلَّ عمره أو كثر عمره ، فهو يعمَّر إلى أجله الذي كتب له»[٣] . فالمعمَّر على هذا الذي قُدِّر له شيء من العمر وإن قلَّ ، وليس المعمَّر بمعنى الطويل العمر ، وهو قول المفسرين[٤] .

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ كل يوم حتى ينتهي إلى أجله . قال سعيد بن جبير : «يكتب في أول الصحيفة عمره ، ثم يكتب في أسفل من ذلك : ذهب يوم ، ذهب يومان ، حتى لا يبقى شيء»[٥] .

قال السُّدِّي[٦] : «يعمر الإنسان الستين والسبعين وينقص ما مضى من أيامه ، وذلك نقصان من عمره ، وذلك كله ﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾» ، هذا الذي ذكرنا قول الجمهور .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «ما يزاد في عمر إنسان ، ولا ينقص من عمره»[٧] .

---

(١) ورد في تفسير مقاتل ١٠٢ ب ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وذكر بعض المفسرين القول منسوباً إلى قتادة . انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٢ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٢ .

(٢) لم أقف عليه عن مقاتل ، وقد أورده د . محمد عطا في تفسير السُّدِّي الكبير ٣٩٩٣ ، وعزاه إلى السيوطي في الدر ، ولم أقف عليه عند السيوطي .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٦٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٧ .

(٥) ذكر في تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٥ ب ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٦٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ١١ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن سعيد بن جبير .

(٦) ذكر في تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٧٥ ، وأورده الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٢٣ عن ابن مالك .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٢ ، وزاد المسير ٦/ ٤٨١ .

وعلى هذا المعمَّر : الطويل العمر ، والذي ينقص من عمره غيره . وعلى القول الأول الـذي ينقص من عمره هو المعمَّر الأول . واختار الفرَّاء هذا القول الثاني ، فقال : «ولا ينقص من عمـره ، يريد [أخبر][1] غير الأول ، وكنَّى عنه بالهاء كأنه الأول ، ومثله في الـكلام : عندي درهم ونصفه ، المعنى : نصف آخر ، وجاز أن يكنَّى عنه بالهاء ؛ لأن اللفظ الثاني قد يظهر واللفظ الأول يكنَّى عنه كالكناية عن الأول ، قال : وهذا أشبه بالصواب»[2] . وإنما اختار هذا ؛ لأن القراءة المشهورة : «ولا يَنقُص مِنْ عُمرِهِ» بفتح الياء كما قرأه الحسن وابن سيرين[3] ، ولأن المعمَّر في ظاهر اللغة الطويل العمر ، وقلَّ ما يقال لـمَن قصر عمره : معمَّر .

قولـه : ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ . قال ابـن عباس ومقاتل : «يريـد اللوح المحفوظ [مكتوب][4] قبل أن يخلق»[5] . ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ؛ أي كتابة الآجال والأعمال على الله هيِّن .

١٢. قوله تعـالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ : يعني العذب والمالح ، ثم ذكر ذلك ، فقال : ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ ؛ أي جائز في الخلق ، وهذه القطعة مرَّ تفسيرها في سورة الفرقان[6] .

---

(١) هكذا في (أ) ، وهي سـاقطة من (ب) ، وهو خطأ ، والصواب : (آخـر) ، كما في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٦٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، والنشر ٢/ ٣٥٢ .

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٥ .

(٦) عنـد قولـه تعـالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان :٥٣] . وقال هناك : «عذب طيب ، وأصله من المنع ، والماء العذب هو الذي يمنع العطش ، فرات الفراة أعذب المياه» .

وقوله : ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ ﴾ إلى آخر الآية تفسيره قد سبق في سورة النحل[١] .
وقوله هنا : ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ يعني من المالح دون العذب .

١٣ . وقوله تعالى : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ . قال أبو عبيدة : «هو الفوقة التي النواة فيها»[٢] .

وقال ابن السكيت : «هو القشرة الرقيقة التي على النواة»[٣] .

قال الزَّجَّاج : «هو لفافة النواة»[٤] .

وقال مقاتل : «يعني قشرة النواة الأبيض»[٥] ، وهو السحاة التي تكون على النوى .

وقال الحسن : «قشر النوى»[٦] .

وقال مجاهد : «لفافة النواة» ، وهذا قول الجميع[٧] .

---

(١) آية ١٤ . انظر : البسيط ، وذكر فيه : «قال ابن عباس : يريد السمك والحيتان» .
(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٥٣ . والفوقة : هي الغشاء الرقيق المحيط بالنواة . يقول السمين الحلبي في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ : «ويقال : إنه اجتمع في النواة أربعة أشياء ، يضرب بها المثل في القلة والحقارة ، وقد ذكرت منها ثلاثة في القرآن العزيز : الفتيل وهو ما في شق النواة مما يشبه الخط الرقيق ، والنقير وهو النقرة في ظهرها ، والقطمير وهو اللفافة على ظهرها» . اهـ .
(٣) انظر : تهذيب اللغة ٩/ ٤٠٩ .
(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٦ .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .
(٦) لم أقف عليه .
(٧) ذكر في تفسير مجاهد ٥٣١ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٢٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٢/ ١٥ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

وروي عن ابن عباس أنه : «شق النواة» ، وهو اختيار الـمُبرِّد[١] .

١٤. وقوله : ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ . قال مقاتل : «يتبرأون من عبادتكم إياها»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «يقولون ما كنتم إيانا تعبدون . والمعنى : بإشراككم إياها مع الله في العبادة ، يقولون : ما أمرناكم بعبادتنا»[٣] .

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يا محمد . ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني نفسه عز وجل ، يقول : فلا أحد أخبر منه بخلقه ، وبأن هذا الذي ذكر من أمر الأصنام هو كائن يوم القيامة»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «لأن ما أنبأ الله ـ عز وجل ـ مما يكون فهو وحده يخبره ولا يشركه فيه أحد»[٥] . هذا كلامه . والمعنى : لا ينبئك مثل خبير يعلم الأشياء ويخبرها ؛ لأنه لا مثل له ، فلا ينبئك مثله في علمه .

١٥. قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أهل مكة»[٦] . ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ : المحتاجون إلى رزقه ومغفرته . (وهو الغني) عن عبادتكم . ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى خلقه وغير خلقه[٧] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره بعض المفسرين منسوباً إلى المفسرين . انظر : الوسيط ٣/ ٥٠٣ ، وبحر العلوم ٣/ ٨٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٧ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) هذه العبارة خطأ ، ولعلها وَهْم من المؤلِّف ـ رحمه الله ـ أو خطأ من الناسخ ؛ لأنه لا شيء في الكون غير مخلوق لله جل وعلا .

١٦. وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ مُفسَّر في ما مضى[١] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾. قال الفرَّاء والزَّجَّاج: «أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب»[٢].

قال الفرَّاء: «والنفس تُعبِّر عن الذكر والأنثى، كقوله[٣]: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، [الأنبياء: ٣٥]، [العنكبوت: ٥٧]»[٤].

١٨. وقوله: ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾؛ أي ما حمل من الخطايا والذنوب. ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾؛ أي من حملها.

[وقوله][٥] ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾. قال مقاتل: «ولو كان بينهما ما حملت عنها شيء من وزرها»[٦][٧].

قال ابن عباس: «يقول: يا بني احمل عني، فيقول: حسبي ما عليَّ»[٨].

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩ـ٢٠]. وقال هناك: «قال ابن عباس والكلبي: يريد أمتكم يا معشر الكفار، وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع».

(٢) انظر: معاني القرآن ٢/ ٣٦٨، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٧.

(٣) في (أ): (كقولك)، وما في الصلب هو الصواب.

(٤) انظر: معاني القرآن ٢/ ٣٦٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (أوزارها).

(٧) انظر: تفسير مقاتل ١٠٣ أ.

(٨) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

قال أبو إسحاق : «أي ولو كان الذي يدعوه ذا قربى ، مثل الأب والابن ومن أشبه هؤلاء»[١] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أولياؤه ، يقول : خافوني وخافوا ما غاب عنهم من عذابي»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «تأويله أن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم[٣] ، فكأنك تنذرهم دون غيرهم مما لا ينفعهم إنذارك ، كقوله : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات :٤٥]» .

وقوله : ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ . قال ابن عباس : «مَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه»[٤] .

وقال مقاتل : «مَن صلح فصلاحه لنفسه»[٥] . ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجزي بالأعمال في الآخرة .

١٩. وقوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ . قال ابن عباس : «لا يستوي المشرك والمؤمن»[٦] .

وقال مقاتل : «وما يستوي في الفضل الأعمى عن الهدى [يعني][٧] الكافر ، والبصير بالهدى يعني المؤمن يبصر رشده»[٨] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٧ .
(٢) لم أقف عليه .
(٣) انظر : المرجع السابق .
(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : زاد المسير ٦/ ٤٨٣ ، وتفسير هود ٣/ ٤١٥ .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .
(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٦ .
(٧) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .
(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .

٢٠. ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ : يعني الشرك والضلالات . ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ : يعني الهدى والإيمان بالله .

٢١. ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ . قال الكلبي : «أمَّا الظل فالجنة ، وأمَّا الحرور فالنار»[١] .

وقال ابن عباس : «يريد ظل الليل ، والحرور هو الذي يكون مثل السموم بالنهار»[٢] .

وقال قتادة : «هذه أمثال ضربها الله للكافر والمؤمن ، يقول : لا تستوي هذه الأشياء ، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن»[٣] .

قال أبو عبيدة : «الحرور ريح حارة تكون بالنهار مع الشمس» ، وأنشد لحميد الأرقط[٤] :

إنَّا وإنْ تباعدَ المسيرُ وسفعتْ ألوانَنا الحرورُ
وأوقدتْ نيرانَها القبورُ[٥]

(١) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٣٣ .
(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٠ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٩ .
(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٨٤ .
(٤) حميد بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقيل هو أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، عاصر الحجاج ، وسمي الأرقط لآثار كانت في وجهه ، وهو بخيل لئيم ، يقال له : هجاء الأضياف . انظر : خزانة الأدب ٥/ ٣٩٥ ، والعقد الفريد ٧/ ٢٠٨ .
(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٥٤ .

قال أبو إسحاق : «الحرور استيقاد الحر ولفحه بالليل والنهار ، والسموم لا يكون إلَّا بالنهار»[١] .

٢٢. قوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ : يعني المؤمنين والكافرين .

قال ابن عباس : «الكافر وإن كان يأكل ويشرب ويجيء ويذهب[٢] ، فهو مثل الميت ، ودليل هذا في صفتهم قوله تعالى : ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل :٢١]» .

ثم قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ . قال ابن عباس : «يسمع أولياءه[٣] الذين خلقهم لجنته وعصمهم من الكفر»[٤] . والمعنى : يسمع كلامه من يشاء حتى يتعظ يهتدي . وقال السُّدِّي : «يهدي مَن يشاء»[٥] .

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ : يعني الكفار ، شبَّههم حين صموا ولم يجيبوا إذا دعوا إلى الإيمان بأهل القبور ، ثم قال للنبي ﷺ حين لم يجيبوه إلى الإيمان :

٢٣. ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ . يقول : «ما أنت إلَّا نذير ، وليس عليك إلَّا البلاغ» .

٢٤. وقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : «وما من أمة من خلقي إلَّا وقد بعثت فيها نبياً»[٦] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٨ .

(٢) في (ب) : (ويذهب ويجيئ) ، ترتيب .

(٣) في (أ) : (أوليائهمن) ، وهو خطأ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر نحوه الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٣٠ عن قتادة ، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٤٠ من دون نسبة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣١٧٩ عن السُّدِّي .

(٦) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٥٢ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٣٤ .

وقال مقاتل : «يقول : ما مرَّ أمة في ما مضى إلَّا جاءهم رسول»[١] .

وقال ابن قتيبة : «خلا فيها نذير سلف فيها نبي»[٢] .

٢٦. وقوله : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ؛ أي عاقبتهم ، فكيف كان عقوبتي ، قاله أبو عبيد[٣] . قال مقاتل : «يخوِّف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية»[٤] .

٢٧. ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[٥] إلى قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ ﴾ . قال الفرَّاء : «الجدد : الطرق تكون في الجبال مثل العروق : بيض ، وسود ، وحمر[٦] ، واحدها جدة[٧] ، وأنشد لامرئ القيس :

كأنَّ سراتيهِ[٨] وجُدَّةَ ظهرِهِ كنائنُ يجري فوقَهنَّ دليصُ[٩]

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٢) تفسير غريب القرآن ٣٦١ .

(٣) لم أقف على قول أبي عبيد .

(٤) لم أقف على قول مقاتل .

(٥) قوله : (من السماء ماء) ساقط من (أ) .

(٦) في (ب) : (بيض وحمر وسود) .

(٧) في (أ) بعد قوله : (واحدها جده) ، قال : «فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ ﴾ وسودهم من الناسخ» .

(٨) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (سراته) .

(٩) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في شرح ديوانه ١٢٤ ، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٥٨ ، واللسان (جدد) ٣/ ١٠٨ ، و(دلص) ٧/ ٣٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٦٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٢٦٩ . سراته : أعلى ظهره ، وجدة ظهره : العلامة يخالف لونها لون جلده ، والكنائن : الخطوط البيض في ظهره .

يعني الخطة السوداء في متن الحمار ، والدليص : الذي يبرق»[١] .

وقال أبو عبيدة : «جدد : طرائق» ، وأنشد لذي الرمة يصف الليل :

حتى إذا حانَ منْ حضرَ قوادمهُ ذي جدتينِ يكفُّ الطرفَ تعميمُ[٢][٣]

وقال أبو إسحاق : «جدد جمع جُدة ، وهي الطريقة ، وكل طريقة جُدة وجادة»[٤] .

وقال ابن قتيبة والمُبرِّد : «جدد : طرائق وخطوط»[٥] ، ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الجدد : «أنها الطرائق»[٦] .

وقال مقاتل : «يعني بالجدد الطرائق التي تكون في الجبال ، منها بيض ، ومنها حمر ، ومنها غرابيب سود[٧] . وهو جمع غربيب ، وهو الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب ، يقال : أسود غربيب وغرابي»[٨] .

وذكر عن الفرَّاء أن هذا التقديم والتأخير ، بتقدير : وسود غرابيب ؛ لأنه يقال : أسود غربيب ، وقلَّ ما يقال : غربيب أسود[٩] .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٩ .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لذي الرمة في ديوانه ١/ ٤٤٤ ، وانظره منسوباً إليه في مجاز القرآن ٢/ ١٥٥ . ومعنى البيت : يريد مَن ليس سود أوائله . ذي جدتين ؛ ناجيتين من الليل ، ويكف الطرف : يرده حتى لا يجوزه ، وتغييم : إلباس ، يقول : «جاء الليل مثل الغيم» .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٥٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٩ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٣٦١ ، وانظر : فتح القدير ٣/ ٣٧٤ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٦٢٦ أ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٣١ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٧٠ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (غرب) ٨/ ١١٧ ، واللسان (غرب) ١/ ٦٣٨ .

(٩) لم أقف على قول الفرَّاء في معاني القرآن له ، ونقل كلام الفرَّاء الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٣٥ ، والمؤلِّف في الوسيط ٣٥٠٤ ، والشوكاني في فتح القدير ٤/ ٣٤٧ .

وقال الأخفش في هذه الآية : «قوله : ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا﴾ نصب (مختلفاً) ؛ لأن كل صفة متقدمة فهي التي تجري على الذي قبلها إذا كانت من سببه ، و(الثمرات) في موضع نصب» . هذا كلامه[١] . و(مختلفاً) ينتصب بكونه نعتاً لقوله ثمرات ، وجاز تذكيره على الفعل ، فجاز أن يجري مجرى الفعل ، ولو كان فعلاً جاز تذكيره كقوله : ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا﴾ . والاختلاف الألوان ، وجرى صفة للثمرات ، كقوله : ﴿مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ [النساء :٧٥] ؛ فالظالم للأهل ، وقد جرى صفة للقرية[٢] ، وشرحنا الكلام فيه هاهنا ، وتم الكلام عند قوله : ﴿أَلۡوَٰنُهَا﴾ ، ثم ابتدأ فقال : ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ﴾ ؛ أي ومما خلقنا من الجبال جدد بيض ، يعني طرائق ، وليس يريد الطرائق التي تسلك ، وإنما أراد الطرائق[٣] التي تكون مستقيمة على ضرب واحد كطرائق النحل ، وكذلك يكون الجبال ممتد ؛ منها طريقة[٤] بيض ، ومنها طريقة حمرة ، وطريقة سود ؛ وهي الغرابيب . قال أبو إسحاق : «وهي الحرار من الجبال التي تكون ذات صخور سود»[٥] .

هذا الذي ذكرنا هو الوجه في تفسير الجدد والطرائق ؛ لأن الطرائق في اللغة كل مستطيل ، ويجوز أن يكون المعنى ما ذكره الفرَّاء من قوله : «هي طريق تكون في الجبال كالعروق» .

٢٨. وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ . قال الزَّجَّاج : «المعنى : وفي ما خلقنا مختلفاً ألوانه من الناس والدواب

(١) انظر : معاني القرآن ٢/ ٤٨٦ .

(٢) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢/ ٢١٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٦٦ ، والبحر المحيط ٧/ ٢٩٦ .

(٣) في (ب) : (الطريق) .

(٤) في (أ) : (منها طريقة منها بيض) ، وهو خطأ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٩ .

والأنعام ، خلق مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات والجبال»[١] . وتم الكلام ، ثم ابتدأ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «في هذه الآية تقديم وتأخير»[٢] ، يعنيان تقديم المفعول على الفاعل . قال ابن عباس : «يريد إنما يخافني من خلقي مَن علم جبروتي وعزتي وسلطاني»[٣] ، وقال مقاتل : «أشد الناس لله خشية أعلمهم به»[٤] ، وقال الكلبي : «العلماء بالله هم الذين يخشونه»[٥] ، وقال ابن مسعود : «كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً»[٦] ، وقال مجاهد والشعبي : «العالم مَن خاف الله»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «عزيز في ملكه ، غفور لذنوب المؤمنين»[٨] .

٢٩. قوله : ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ . قال مقاتل وأبو عبيدة : «لن تهلك»[٩] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٩ .

(٢) لم أقف على قول الكلبي ، وانظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٣) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٨٦ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٩ ب .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكر في تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٠ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والطبراني عن ابن مسعود .

(٧) ذكر في المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧ ، وزاد المسير ٦/ ٤٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢١ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد .

(٨) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وتفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٠ ب ، ومجاز القرآن ٢/ ١٥٥ .

وقال أبو إسحاق : «لن تفسد ولن تكسد»[١] ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر :١٠] في مواضع .

قال ابن عباس في قوله : ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ : «يعني الجنة»[٢] . وقوله : ﴿يَرْجُونَ﴾ . قال الفرَّاء : «هو جواب لقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ﴾[٣] فيرجون جواب لأول الكلام»[٤] .

وقوله : ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ متعلق بما ذكر من قوله : ﴿يَتْلُونَ﴾ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ ليوفيهم ؛ أي فعلوا ما فعلوا ليوفيهم الله جزاء أعمالهم بالثواب .

٣٠. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ . قال ابن عباس : «سوَّى الثواب : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»[٥] . ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنوب . (شكور) لحسناتهم ، قاله مقاتل[٦] ، وقال ابن عباس : «غفر العظيم من ذنوبهم ، وشكر اليسير من أعمالهم»[٧] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٩ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره هود في تفسيره ٣/ ٤١٧ من دون نسبة .

(٣) في (أ) : (ويقيمون) بدلاً من (وأقاموا) .

(٤) انظر : معاني القرآن ٢/ ٢٦٩ .

(٥) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس ، ولكن ورد عن أبي هريرة في الصحيحين ؛ في البخاري ، كتاب : التفسير ، (سورة تنزيل السجدة) ٤/ ١٧٩٤ ، رقم الحديث ٤٥٠١ ، ٤٥٠٢ عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قال : قال الله تعالى : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» ، ورقم ٤٥٠٣ عن أبي هريرة أيضاً ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/ ٢١٧٤ ، رقم الحديث ٢٨٢٤ ، وعن سهل بن سعد الساعدي ، رقم ٢٨٢٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٧) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وانظر : الوسيط ٣/ ٥٠٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٠ .

٣١. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : «حيث جعلت نعمتي كرامتي فيمَن خافني وعظَّم حقي»[١] .

٣٢. وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ : هذه الآية منتظمة بقوله : ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ . لـمَّـا ذكر أن الأمم الماضية كذَّبوا الرسـل الذين أتتهم بالبينات وبالزبور وبالكتاب المنـير ، وأنه عاقبهم على ذلـك ، ذكر هذه الآيـة المصدقة بالكتاب ، فقال : ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ . قال مقاتل : «يعني القرآن»[٢] . والمعنى : ثم جعلنا الكتاب ينتهي إليهم ؛ لأن مَن ورث شـيئاً كان ذلك الشيء منتهياً له .

وقولـه : ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ . قال ابن عبـاس : «يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمة محمد ﷺ»[٣] .

ثم قسمهم ورتبهم ، فقال : ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ . قال ابن عباس : «بدأ بشرهم ، فقـال : ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ ، وهو الذي مات على كبيرة ، ولم يتب منها»[٤] .

وقال مقاتل : «يعني أصحاب الكبائر من أهل التوحيد»[٥] .

﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ . قال ابن عباس : «وهو الذي لم يصب كبيرة»[٦] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٠ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩ .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٨٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٢٨ أ عن بكر بن سهل الدمياطي .

وقال مقاتل : «هو صاحب اليمين»[١] .

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ : يعني المقربين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة . وقال الحسن : «الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته ، والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت [حسناته على سيئاته]»[٢][٣] .

وقال أبو الدرداء : «سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية : «السابق والمقتصد يدخلان[٤] الجنة بغير حساب ، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة»[٥] .

وقال عقبة : «قال[٦] لعائشة : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ الآية ، فقالت : أمَّا السابق فمَن مضى في حياة رسول الله ﷺ ، وأمَّا المقتصد فمَن اتبع آثارهم فيعمل بأعمالهم حى لحق بهم ؛ فمثلي[٧] ومثلك ومَن اتبعتك[٨] ،

---

(١) لم أقف عليه عن مقاتل ، وقد ذكره القرطبي ١٤/ ٣٤٦ عن مجاهد .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٨ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧١ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩ .

(٤) في (ب) : (يدخلون) ، وهو خطأ .

(٥) هذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٩٨ ، ٦/ ٤٤٤ ، والحاكم في المستدرك ، كتاب : التفسير (سورة الملائكة) ٢/ ٤٢٦ ، وصحَّحه ووافقه الذهبي ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣١٨٢ .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (قلت) .
وعقبة هو ابن صهبان الأزدي الحداني ، وقيل الراسبي ، وقيل الهنائي البصري ، وحدان وراسب وهناءة من الأزد ، روى عن عبدالله بن مغفل المزني وعثمان بن عفان وعائشة أم المؤمنين وغيرهم ، وروى عنه جماعة ، منهم : صبيح أبو الوسيم وعلي بن زيد بن جدعان وقتادة بن دعامة ، وهو ثقة ، روى له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، توفي مطلع ولاية الحجاج على العراق . انظر : تهذيب الكمال ١٧/ ٢٠٠ والترجمة ١٧٣٦ ، ٣٩٧٧ ، والطبقات الكبرى ٧/ ١٤٦ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣١٢ .

(٧) هكذا في النسخ ، وفيه سقط من الأثر نصه : (وأمَّا الظالم لنفسه فمثلي) .

(٨) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (اتبعنا) .

وكلٌّ في الجنــة»[١] ، وقال ابن الحنفية : «الظــالم مغفور له ، والمقتصد في الجنات ، والسابق في الدرجات العلى»[٢] .

وروي عن ابن عباس أنه ســأل كعباً[٣] عن هؤلاء الأصناف الثلاثة ، فقال : «تحاكت مناكبهم ورب الكعبة ، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم»[٤] .

وقال كعب أيضــاً : «وقرأ هذه الآية إلى قولــه : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ ، فقال : دخلوها ورب الكعبة»[٥] .

وروي عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال : «فيعذب الله مَن اصطفاه وجعلهم يدخلون الجنة»[٦] .

---

(١) هذا الحديث رواه الحاكم في المســتدرك ، كتاب : التفسير (سورة الملائكة) ٤/ ٤٢٦ ، وقال : «صحيح الإســناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وابــن حجر في المطالب العاليــة ٥/ ٣٦٠ ، وقال : «لأبي داود» ، والثعلبي في تفسيره .

(٢) ذكر في تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٣) إســحاق بن كعب بن نافع بن ذي هجن الحميري التابعي ، اشــتُهر بكعب الأحبار ، من علماء اليهود في اليمن ، أســلم في خلافة أبي بكر ، وقَدِم المدينة فأخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ الكتاب والسُّنة من كبار الصحابة بالمدينة ، ثم رحل إلى الشام وتوفي فيها . انظر : حلية الأولياء ٥/ ١٦٤ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٢ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٨ .

(٤) ذكر في تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) ذكره الســيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٧ ، وعزاه إلى عبد بن حميد . قلت : «ولعل هذا القول وسابقه لا فرق بينهما ، فكلاهما يدل على أن الأصناف الثلاثة داخلة الجنة» .

(٦) هكذا وردت هذه الرواية عن ابن عباس ـرضي الله عنهماـ في النســخ جميعها ، والظاهر أن في الكلام خطأ ، ولم أقف على روايةٍ عن ابن عباس قريبة منها بعد طول بحث ، فيظهر أنها خطأ من النساخ .

هذا الذي ذكرنا مذهب جمهور أهل التأويل . وذهب قوم إلى أن الظالم لنفسه ليس من أهل الجنة ، فقال الكلبي : «فمنهم ظالم لنفسه في الكفر ، وذلك في النار»[١] .

وروى عن عمرو بن دينار أن ابن عباس كان يقول : «الظالم لنفسه هو المنافق»[٢] .

وروي عوف عن الحسن : «نجا السابق والمقتصد ، وهلك الظالم لنفسه»[٣] .

وقال مجاهد : «صنفيان[٤] نانجيان وصنف هالك ، قال : وهذه الآية كالتي في الواقعة : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [الواقعة :٨-٩]»[٥] ، وعلى هذا القول الكناية في منهم ، ومنهم تعود إلى قوله : ﴿ عِبَادِنَا ﴾ ، والقول هو الأول ؛ لأن الله تعالى ذكر الأصناف بعد الاصطفاء ؛ ولأنه ختم ذكرهم بقوله : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ .

ولقد أحسن أبو بكر الوراق كل الإحسان حيث قال : «رتب الله هذه الأمة على ثلاث طبقات ؛ لأن أحوالهم على ثلاث : معصية ثم توبة ثم قربة ، فإذا عصى

---

(١) لم أقف عليه عن الكلبي ، وذكره القرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٤٦ ، وصاحب زاد المسير ٦/ ٤٨٩ ، ونسبه إلى عمرو بن دينار عن ابن عباس .

(٢) ورد في مجمع البيان ٨/ ٦٣٩ ، وذكر بعض المفسرين هذا القول منسوباً إلى الحسن . انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٥ ، وزاد المسير ٧/ ٤٨٩ .

(٣) ذكر في تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٥ ، وزاد المسير ٧/ ٤٨٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٣٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٧ ، وعزاه إلى عبد بن حميد والبيهقي عن الحسن .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (صنفان) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٥ ، وبحر العلوم ٣/ ٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٦ .

العبد كان ظالماً لنفسه ، ثم إذا تاب صار مقتصداً ، فإذا ثبت على التوبة دخل[١] في السابقين»[٢] .

ولهذا المعنى بدأ في ذكرهم بالظالمين[٣] ؛ على أن الواو عند أهل التحقيق لا توجب ترتيباً . وذكرنا معنى المقتصد في اللغة عند قوله : ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة :٦٦] ، وقوله : ﴿سَابِقٌ﴾ ؛ أي سابق إلى الجنة ، أو إلى رحمة الله . ﴿بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ؛ أي بأعماله الصالحة بإذن الله ، بأمر الله وإرادته . قوله : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ : يعني إيراثهم الكتاب .

٣٣. ثم أخبر بثوابهم وجمعهم في دخول الجنة ، فقال : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ . قال ابن عباس : «أدخلهم الجنة ؛ أفضل الجنان وأشرفها»[٤] .

وقال مقاتل : «يعني هؤلاء[٥] الأصناف الثلاثة يدخلون الجنان»[٦] .

---

(١) في (ب) : (صار من السابقين) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٧ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ .

(٣) وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٤٩ أوجهاً أخرى في سبب تقديم الظالم على المقتصد والسابق ، فقال : «وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق ، فقيل : التقديم في الذكر لا يقتضي تشريفاً ، كقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ . وقيل : «قُدِّم الظالم لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم ، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم ، والسابقين أقل من القليل» ، ذكره الزمخشري ولم يذكر غيره . وقيل : «قُدِّم الظالم لتأكيد الرجاء في حقه ؛ إذ ليس له شيء يتكل عليه إلَّا رحمة ربه ، واتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق على طاعته» . قلت : «وفي هذا القول نظر ؛ إذ لن يدخل أحد الجنة بعمله كما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ» ، وقيل : «قُدِّم الظالم لئلا ييأس من رحمة الله ، وأُخِّر السابق لئلا يعجب بعمله» . قلت : «وقيل غير ذلك ، ولا مانع من إرادة الكل ، والله أعلم» .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ .

(٥) في (ب) : (هذه) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

قال أبو علي : «جنات عـدن نكرة ، ويدخلونها أو يدخلونها -على ما قرأ أبو عمرو- صفة لها ؛ لأنها جملـة والنكرات توصف بالجمـل ، وأمَّا ارتفاع جنات فيجوز أن يكون تفسـيراً للفضل ، كأنه قيل : ما ذلـك الفضل ؟ فقال : الفضل جنات عدن ؛ أي دخول جنات ، قال : ويجوز أن تجعل الجنات بدلاً من الفضل ، كأن ذلك الفضل جنات عدن ؛ أي دخول جنات عدن»[١] . هذا كلامه . والمعنى : إيراثنا إياهم الكتاب الفضل الكبير ، وذلك الفضل جنات عدن ؛ أي دخولها ؛ لأن إيراث الكتاب هو[٢] سبب دخول الجنات ، وباقي الآية مُفسَّرة في سورة الحج[٣] .

قال مقاتل : «فلـمَّـا دخلوها واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم على ما صنع بهم»[٤] ، وهو :

٣٤. قولـه : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ . قـال أبـو عبيـدة والزَّجَّاج : «الحَزَن والحُزْن واحد كالبخل والبخل والرشد والرشد»[٥] .

قـال ابن عباس : «يعنون مـا يعاينون[٦] في الموقف مـن الأهوال والزلازل والشدائد»[٧] .

قال مقاتل : «لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم»[٨] .

---

(١) الحجة ٦/ ٢٨ .
(٢) (هو) ساقطة من (ب) .
(٣) آية : ٢٣ ، وأحال على سورة الكهف .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .
(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٥٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٠ .
(٦) في (أ) : (عاينون) .
(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٩ أ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٧٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ .
(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

وقال الكلبي : «يعني الذي كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة»[١] .

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس ، قال : «حزن النار»[٢] .

وقال سعيد بن جبير : «همُّ الخبز في الدنيا»[٣] .

وقال الحسن : «أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت ، ولكن أحزان الآخرة»[٤] .

وقال عكرمة : «حزن الذنوب والسيئات وخوف ردِّ الطاعات»[٥] .

وقال أبو إسحاق : «أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ . قال ابن عباس : «يعنون بذلك أنه غفر لنا العظائم من ذنوبنا ، وشكر لنا من محاسن أعمالنا»[٧] .

٣٥. وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ . قال مقاتل : «أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبداً ، لا يموتون ، ولا يتحولون عنها أبداً»[٨] .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٩ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ ، وفتح القدير ٤/ ٣٥٠ .

(٢) انظر : المراجع السابقة ، ولعله لا فرق بين القولين .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ ، وزاد المسير ٦/ ٤٩٢ ، وفتح القدير ٤/ ٣٥٠ . ولعل المقصود بهذا القول هو هَمُّ طلب الرزق .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : المراجع السابقة .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٠ .

(٧) ورد في تفسير ابن عباس ٣٦٧ ، وذكره المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٥٠٦ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

قال الفرَّاء والزَّجَّاج : «المقامة مثل الإقامة ، يقال : أقمت بالمكان إقامةً ومقامةً ومقاماً»[١] .

وقوله : ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ذلك بتفضله لا بأعمالنا»[٢] .

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة في أجسامنا»[٣] .

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ : اللغوب : الإعياء من التعب . قال الفرَّاء في المصادر : «لغب بالفتح يلغب بالضم لغوباً ، ولغب بفتح الغين قليلة»[٤] . الأزهري : «ولغب فلان دابته ، إذا تحامل عليها حتى أعيا»[٥][٦] .

والمفسرون يقولون في اللغوب : «إنه الإعياء»[٧] . قال مقاتل : «يقول : فلا يصيبنا في الجنة من إعياء»[٨] ، وقال عطاء عن ابن عباس : «مثل ما يلغب الرجل حين يلاعب أهله ويجامعها»[٩] .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٠ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧١ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧١ .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وتفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٤) لم أقف على قول الفرَّاء ، وانظر : اللسان (لغب) ١/ ٧٤٢ ، إلا أن ابن منظور قال : «ولغب بالكسر لغة ضعيفة» . وما ذكر هنا خطأ ، فالمراد : «ولعِب بكسر العين» ، فلعله وَهْم من النساخ ، والله أعلم .

(٥) في (ب) : (عيا) من دون همزة .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (لغب) ٨/ ١٣٩ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٠ ، وبحر العلوم ٣٠/ ٨٨ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٩) لم أقف عليه .

٣٦. فلمَّا بلغ هذا الموضع انقطعت صفة أهل التوحيد، وهم أمة محمد ﷺ، ثم قال في صفة الكفار[١]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾. قال أبو إسحاق: «فيموتوا جواب النفي. المعنى: لا يقضي عليهم الموت فيموتوا»[٢]. هذا كلامه. ويجوز أن يكون معنى (لا يقضى عليهم) لا يهلكون، من قوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، وقد مرَّ، وحينئذٍ لا يحتاج إلى تقدير محذوف. قال ابن عباس: «فيموتوا: فيستريحوا مما[٣] هم فيه من العذاب».

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين كذلك يعني ما ذكر[٤].

وقال ابن عباس ومقاتل: «هكذا نجزي كل كفور: كل كافر»[٥].

٣٧. ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾؛ أي يستغيثون، قاله ابن عباس[٦] والجميع، وهو [قول][٧] من الافتعال من الصراخ، يقال: اصطرخ[٨] القوم وتصارخوا[٩].

---

(١) في (ب): (الكافرين).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧١.
(٣) في (أ): (بما)، وهو خطأ.
(٤) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧، وقد ذكره بعض المفسرين غير منسوب. انظر أيضاً: بحر العلوم ٣/ ٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٣.
(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٠٤ أ، وانظر: المراجع السابقة.
(٦) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٨.
(٧) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).
(٨) في (ب): (أصرخ).
(٩) انظر: تهذيب اللغة (صرخ) ٧/ ١٣٥، واللسان (صرخ) ٣/ ٣٣.

قال مقاتل : «والاستغاثة أنهم ينادون[١] : ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾» . قال ابن عباس : «نقل : لا إله إلَّا الله ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ : يعني الشرك[٢] . فوبخهم الله تعالى ، فقال : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾» . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ثماني عشرة سنة» ، وهو قول قتادة[٣] ، وقال الحسن : «أربعين سنة»[٤] ، وهو قول الكلبي ، قال : «تعمير العبد بعد أربعين سنة»[٥] .

روى منصور عن هلال ، قال : «كان أهل المدينة إذا أتى على أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة»[٦] .

وقال ابن عباس في رواية مجاهد : «يعني ستين سنة»[٧] ، وهذا أَوْلى الأقاويل ؛ لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «إذا بلغ الرجل ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر»[٨] ، وقوله : ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ . قال ابن عباس[٩] : «يريد النبي ﷺ» ، وهو قول مقاتل والجمهور[١٠] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٢) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٢ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٤/ ٤٤١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٩٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٦١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٣ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٣ .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٧٦ عن ابن عباس ومسروق ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١٨٥ عن الحسن .

(٦) لم أقف عليه عن منصور بن هلال ، وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٥٣ ، ونسبه إلى مالك .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٤١ ، وبحر العلوم ٣/ ٨٩ ، وزاد المسير ٦/ ٤٩٤ .

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب : التفسير (سورة الملائكة) ٤/ ٤٢٧ ، وقال : «صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣١٨٥ .

(٩) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٧ .

(١٠) وهو قول جمهور المفسرين كما حكاه البغوي في تفسيره ٣/ ٥٧٣ ، والنحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٦٢ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٤١ .

وقال آخرون : «يعني به الشيب» ، روى ذلك عكرمة وسفيان بن عيينة[١] .

وذكر الفرَّاء والزَّجَّاج القولين في النذير[٢] .

وقال أبو علي : «مَن قال : إن النذير محمد ﷺ ، كان اسم فاعل كالمنذر ، ومَن قال : إنه الشيب ، كان الأولى أن يكون مصدراً كالإنذار»[٣] ، والقول هو الأول ؛ لقوله تعالى في صفة محمد ﷺ : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب :٤٥] ، [الفتح :٨] .

وقوله تعالى : ﴿فَذُوقُواْ﴾ . قال مقاتل : «فذوقوا العذاب» . ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ من مانع يمنعهم العذاب[٤] .

٣٨. وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ : تفسير هذه الآية قد تقدَّم في ما مضى[٥] . قال الكلبي ومقاتل في هذه الآية : «يعني أنهم لو ردوا[٦] لما نهوا عنه»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٠ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٩٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٠ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٢ .

(٣) الحجة ١/ ٢٥٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٥) عند قوله تعالى في سورة آل عمران آية ١١٩ ، ١٥٤ .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) بدليل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام :٢٨] .

(٧) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وانظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ ، وبحر العلوم ٣/ ٨٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٥ .

٣٩. قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد خلفاً من بعد قوم كانوا من قبلكم»[١] . قال أبو إسحاق : «أي جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمَن سلف ما ينبغي أن يعتبر به»[٢] . ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ ؛ أي جزاء كفره .

٤٠. ثم أمر نبيه ﷺ بالاحتجاج عليهم بقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «معناه : قل أخبروني عن شركائكم»[٣] .

﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ . قال أبو علي : «قوله : ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ في موضع النصب ؛ لأنه المفعول الثاني لأرأيتم» .

وقوله تعالى : ﴿أَرُونِى﴾ تأكيد لما دل عليه (أرأيتم) ، ألا ترى أن (أرأيتم) بمنزلة أخبروني ، ومثله قوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [القصص :٧١] .

وقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ﴾ [فصلت :٥٢] في الاستفهام في الآيتين ، في[٤] المفعول الثاني (لأرأيتم)[٥] .

وقال مقاتل : «﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كما خلق الله آدم إن كانوا آلهة»[٦] .

---

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، ونسبه بعض المفسرين إلى قتادة . انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٤٣ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٤٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) حرف الجر (في) طمس في (ب) .

(٥) لم أقف على قول أبي علي ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٧٠١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

قال الفرَّاء : «أي إنهم لم يخلقوا شيئاً»[١] ، فعلى هذا (من) بمعنى (في) .

وقال الزَّجَّاج : «أي بأس شيء أوجبتم لهم شركة الله عز وجل»[٢] ؛ أي شيء خلقوه من الأرض .

﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ؛ أي أم لهم شركة في خلق السماوات ، ثم ترك هذا النظم ، فقال : ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ . يقول : «بل آتيناهم ، يعني أهل مكة» . ﴿ كِتَٰبًا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بعثت إليهم قبلك يا محمد نبينا ، وأنزلت عليهم كتاباً»[٣] .

وقال مقاتل : «يقول : هل أعطينا كفار مكة كتاباً ؟»[٤] . ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ : يعني ما في الكتابين[٥] من ضروب البينات .

وقرأ أبو عمرو : (بَيِّنَةٍ) ، جعل ما في الكتاب بيِّنة على لفظ الإفراد وإن كانت عدة أشياء ، كما قال : ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ [هود :٢٨][٦] .

ثم استأنف : ﴿ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ؛ أي ما يعد الظالمون . ﴿ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ : يعني أباطيل تغر . قال ابن عباس : «يريد ما يعدهم به إبليس وجنوده»[٧] .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٣ .

(٣) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٩ ، وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٧٨ ، ونسبه إلى الكلبي .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٥) هكذا في النسخ بالتثنية ، وهو خطأ ؛ لأن الإشارة لم تسبق إلَّا إلى كتاب واحد ، وهكذا وردت بالإفراد في الوسيط ٣/ ٥٠٧ .

(٦) انظر : الحجة ٦/ ٢٩ ، ٣٠ ، وحجة القراءات ٥٩٤ .

(٧) لم أقف عليه .

وقال مقاتل : «يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلَّا باطلاً ليس بشيء»[١] .

٤١. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ . قال مقاتل : «يعني لئلا تزولا عن مواضعهما»[٢] ، وعلى هذا تكون هذه الآية كقوله : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء : ١٧٦] ، وقد مرَّ .

وقال أبو إسحاق : «يمسك بمعنى : يمنع»[٣][٤] .

وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار ؛ لأن المعنى يمنعهما الزوال . وقال أبو عبيدة : «في هذه الآية سبيلهما سبيل قوله : ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء :٣٠][٥] ، يعني أنه ذكر السماوات والأرض ، ثم أعاد الكناية إليهما كما تعاد إلى الاثنين» . قال الأخفش : «جعل السماوات صنفاً كالواحد»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ . قال الفرَّاء : «يعني ولو زالتا ، كقوله : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ ، وقوله : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، ولئن ولو ، وهما متآخيتان يجابان بجواب واحد»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .
(٢) انظر : المرجع السابق .
(٣) في (أ) : (يمنعني) ، وهو تصحيف .
(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٣ .
(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٥٦ .
(٦) انظر : معاني القرآن ٢/ ٤٨٧ .
(٧) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٠ .

وقال أبو إسحاق : «هذا على وجهين :

أحدهما : أنه أراد زولانهما في القيامة ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير :١١] ، والثاني : أن يقال : إن زالتا وهما لا يزولان» . هذا كلامه[١] . والمعنى في الوجه الأول أن زوالهما جائز ولان[٢] في القيامة ، وفي الوجه الثاني قيل : ولئن زالتا ، على التقدير : لا أنهما تزولان ما دامت الدنيا .

وقال مقاتل : «يعني : ولئن أرسلتهما فزالتا[٣] ، وأضمر الإرسال» .

وقوله تعالى :﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ . قال أبو عبيدة : «أي لا يمسكهما»[٤] ، وقال الفرَّاء : «يعني ما أمسكهما»[٥] .

قال مقاتل : «يقول لم يمسكهما أحد من بعد الله»[٦] .

وقال الكلبي في سبب النزول[٧] : «إن اليهود لمَّا قالوا : عزير ابن الله ، [وقالت][٨] النصارى : المسيح ابن الله ، كادت السماوات والأرضون أن تزولا عن أمكنتهما ، فمنعهما الله -عز وجل- ونزَّل هذه الآية» .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ . قال : «حليماً عمَّا يقال له ، غفوراً لمَن تاب من مقالته» . واختار الزَّجَّاج قول الكلبي ، وذكر في النزول مثل قوله .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٤ .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعله تصحيف ، والصواب : (وكائن) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٥٦ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٠ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٧) ورد في تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٧ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٩٦ عن الزَّجَّاج .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

﴿حَلِيمًا﴾ : حلم عمن قال : اتخذ الرحمن ولداً ، فلم يعجِّل عليهم العقوبة[١] . وسائر المفسرين لم يذكروا هذا السبب ، والآية على قولهم احتجاج على المشركين بقدرة الله تعالى على حفظ السماوات والأرض وإمساكهما عن الزوال ، وإخبار[٢] عن عظم قدرته ، وعلى هذا يقال : لِمَ قال إنه كان حليماً غفوراً ؟ وأين هذا المكان عن ذكر الحلم والمغفرة وهذا موضع يدل على القدرة ؟ والجواب عن هذا ما ذكر مقاتل ، قال : «هذا على التقديم ، إنه كان حليماً عن قولهم[٣] الملائكة بنات الله ، غفوراً إذا أخَّر العذاب عنهم ولم يعجِّل عليهم بالعقوبة»[٤] ، يعني أن هذا يعود إلى ما قبله من ذكر كفار مكة والمشركين .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ : يعني كفار مكة . وهذه ألفاظ قد سبق تفسيرها في سورتين[٥] .

قال ابن عباس : «حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة . ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول . ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ أصوب ديناً . ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ : يريد اليهود والنصارى والصابئين . ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ ، وهو محمد ﷺ . ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى»[٦] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٣ .

(٢) في (ب) : (وإجار) .

(٣) في (ب) : (للملائكة) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٥) قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام :١٠٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النور :٥٣] .

(٦) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٨ ، وأورده المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٥٠٨ ، وذكره أكثر المفسرين غير منسوب إلى ابن عباس . انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٠ ب ، وبحر العلوم ٣/ ٩٠ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣ .ب ،

٤٣. ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . قال ابن عباس : «عتوا»[١] ، وقال مقاتل : «تكبراً في الأرض عن الإيمان»[٢] . وانتصب (استكباراً) -عند الأخفش- على البدل من قوله : ﴿ نُفُورًا ﴾[٣] .

وقال الفرَّاء : «فعلوا ذلك استكباراً»[٤] ، وهذا محتمل المصدر ، ويحتمل أن يكون معناه للاستكبار ، وهو قول الزَّجَّاج ، قال : «هو منصوب ؛ لأنه مفعول له . المعنى : ما زادهم إلَّا نفوراً للاستكبار»[٥] .

﴿ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ : قرأ حمزة بإسكان الهمزة . قال أبو إسحاق : «وهذا عند النحويين لحن لا يجوز ، وإنما يجوز في الشعر للاضطرار ، كقوله :

إذا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبْ قَوِّمِ[٦]

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : بحر العلوم ٣/ ٩٠ ، والوسيط ٣/ ٥٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٣) انظر : الدر المصون ٥/ ٤٧٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٤ .

(٦) صدر بيت من الرجز ، وعجزه :

بالدَّوِّ أَمثالَ السَّفِينِ العُوَّمِ

ينسب البيت إلى ابن نحيلة . انظر : شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٩٨ ، وشرح شواهد الشافية ٢٢٥ . وقد ذكر البيت من دون نسبة في الكتاب ٤/ ٢٠٣ ، والخصائص ١/ ٧٥ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٧١ . ويعني بقوله : اعوججن ، الإبل ، والدو : الصحراء ؛ شبَّه الإبل في الصحراء بالسفن التي تمخر عباب اليم . والشاهد فيه : تسكين ياء صاحب ؛ تشبيهاً للوصل بمجرى الوقف .

يريد : يا صاحب ، فحذف مضطراً ، كأنه استثقل الضم بعد الكسر والكسر بعد الكسر ، ولو قال صاحب ، ومثله :

اليومَ اشْرَبْ غيرَ مُستَحقِبٍ[1]

والبيتان أنشدهما جميع النحويين المذكورين ، قد أعلنوا كلهم أن هذا من الاضطرار في الشعر ، ولا يجوز مثله في كتاب الله»[2] .

قال أبو علي : «التقدير في قوله : ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ : استكبروا في الأرض ، (ومكر السيئ) ؛ أي مكروا والمكر السيئ ، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر ، ألا ترى أنه قد جاء بعد (ولا يحيق المكر السيئ) ، وكما أن السيئ صفة للمصدر كذلك الذي قبله ، ومثله قوله : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ، تقديره : مكروا المكرات السيئات ، إلَّا أنك إذا أضفت إلى السيئ قدَّرت الصفة وصفاً لشيء غير المكر ، كما أن مَن قال : دار الآخرة ، وجانب الغربي قدَّره كذلك ، يريد أن الأصل : الدار الآخرة ، والجانب الغربي ، فلمَّا أضيف إلى صفته صار التقدير : دار الأحكام الآخرة ، وجانب البلد الغربي ، كذلك مكر السيئ يكون معناه : مكر الشرك السيء» .

---

(١) صدر بيت ، وعجزه :

إثماً مِنَ اللهِ ولا وَاغِلِ

وهو لامرئ القيس في ديوانه ١٢٢ ، والكتاب ٤/ ٢٠٤ ، ولسان العرب (حقب) ١/ ٣٢٥ ، والأصمعيات ١٣٠ . استحقب : اكتسب ، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقيبة ، والواغل : الداخل على القوم في شرابهم ولم يدع . والشاهد فيه قوله : «أشْرَبْ» ، حيث سكَّن الباء ضرورةً .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٥ .

قال : «فأمَّا قراءة حمزة واستكانة[١] الهمزة في الاستدراج ، فإن ذلك يكون على إجرائها في الوصل مجراها في الوقف ، فهو مثل سبباً[٢] ويمهل ، وهو في الشعر كثير» .

ومما يقوِّي ذلك أن قوماً قالوا في الوقف : أقعى وأقعوا ، فأبدلوا من الألف الواو والياء ، ثم أجروها في الوصل مجراها في الوقف ، فقالوا : هذه أفعوا يا فتى ، فكذلك عمل حمزة بالهمزة في هذا الموضع .

قال : «ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أنه خفَّف لاجتماع الكسرتين والبائين ، كما خفَّفوا الباء من إبل لتوالي الكسرتين ، ونزَّل حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب كما فعلوا في قولهم :

فاليومَ أشْرَبْ غيرَ مُستَحقِبٍ[٣] . . . .

. . . وَقَد بَدا هَنْكِ مِنَ المِئزَرِ[٤]

فإذا شاع ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل ، لم يسغ لقائل أن يقول إنه لحن ، للزمه أن يقول : إن قول مَن قال : افعوا في الوصل لحن ، فإذا كان مَن قرأ به على قياس ما استعملوه في كلامهم المنثور لم يكن لحناً ، ولم يكن لقادح في ذلك قدح .

---

(١) في (أ) : (واستكانة) ، وهو خطأ .

(٢) في (ب) : (سببا) ، وهو تصحيف .

(٣) صدر بيت لامرئ القيس تقدَّم ذكره .

(٤) عجز بيت من السريع ، وصدره :

رُحْتِ وفي رِجْليْكِ ما فيهما

وقد اختُلف في نسبته ؛ فهو في ديوان الأقيشر الأسدي ، ومنسوب إليه في شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٩١ ، وخزانة الأدب ٤/ ٤٨٤ ، ونسبه ابن قتيبة كما في الشعر والشعراء إلى الفرزدق . والشاهد فيه : إسكان النون في هناك ضرورةً ، وهو مرفوع لأنه فاعل بدا .

وهذه القراءة وإن كان لها مخلص من الطعن ، فالوجه قراءة الحرف على ما عليه الجمهور في الدرج»[١] .

وقال أبو جعفر النحاس : «كان الأعمش يقف على (ومكر السيئ) ، فيترك الحركة ، وهو وقف حسن ؛ لأنه تمام الكلام ، ثم غلط الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الإدراج[٢] ، فيحتمل أن يكون حمزة قد ذهب إلى قراءته ولم يعلم أنه إنما كانت يترك الحركة في همز الوقف ؛ لأنه في الإدراج ، فتابع المغالط في الرواية»[٣] .

والمفسرون فسَّروا (المكر السيئ) هاهنا بالشرك[٤] ، والتقدير : ومكروا مكراً سيئاً ، والمكر السيئ هو عملهم القبيح من الشرك ، والمكر هو العمل القبيح ، وقد مرَّ هذا المعنى في مواضع من التنزيل .

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ . قال ابن عباس : «يريد عاقبة الشرك لا تحل إلَّا بمَن أشرك»[٥] ، وقال الكلبي : «هو أنهم قتلوا يوم بدر»[٦] .

ثم خوَّفهم ، فقال : «قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ؛ أي هل ينظرون إلَّا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قولهم ؟»[٧] ؛ أي يجب

---

(١) الحجة ٦/ ٣١ـ٣٣ .

(٢) القطع والائتناف ٥٩٣ .

(٣) انظر : الدر المصون ٥/ ٤٧٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٥ ، وبحر العلوم ٣/ ٩٠ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٨ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٥٧٥ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣ ،وزاد المسير ٦/ ٣٥٩ .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٥ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٩ .

(٧) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (قبلهم) .

أن لا ينتظروا إلَّا العذاب بعد تكذيبك ، وهذا كقوله : ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس :١٠٢] ، وقد مرَّ .

قولـه : ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ في العـذاب . ﴿تَبْدِيلًا﴾ وإن تأخر ذلك ؛ لأن قوله الحق في نزول العذاب بهم في الدنيا .

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ : لا يقدر أحد أن يحوِّل العذاب عنهم إلى غيرهم ، قاله مقاتل وابن عباس[١] .

٤٥. وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يريـد المشركين كفار مكـة»[٢] . ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ : من الذنوب لعجَّل لهم العقوبة ، وهو قوله : ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ . قال الأخفش : «أضمر الأرض من غير أن يكون ذكرها ؛ لأن هذا الكلام قد كثر حتى قد عرف معناه ، ويقولون : ما على ظهرها أحب إليَّ منك ، وما بها من أحد آثر عندي منك»[٣] .

وقـال الزَّجَّاج : «قد جرى ذكـر الأرض في قوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾»[٤] .

وقوله : ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المشركين»[٥] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب ، وانظر أيضاً : تفسير ابن عباس ٣٦٨ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١٠٥ أ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

(٣) انظر : معاني القرآن ٢/ ٤٨٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٦ .

(٥) لم أقف عليه .

وقال الكلبي : «يعني الجن والإنس خاصة»[١] .

قال أبو عبيدة : «الدابة هاهنا الناس خاصة»[٢] . واختار الزَّجَّاج قول الكلبي[٣] .

وسائر أهل التفسير يجعلون الدابة هاهنا عاماً في مَن دَبَّ على وجه الأرض ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في نظير هذه الآية في سورة النحل ، ٦١ .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أهل طاعته وأهل معصيته»[٤] .

* * *

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩١ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٥٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٦ .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٥ .